

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مِنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَسْتَفْتِحُ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ: ﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ (المتحنة: ٤)، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٢)، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء: ١)، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الاحزاب: ٧٠-٧١)، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَآخَشُوا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِ الْوَالِدِ شَيْئًا إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا فَلَا تَغْرُبَنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغْرَبَنَّكُمُ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ (لقمان: ٣٣)، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ (الحج: ١).

أما بعد:

فإن أصدقَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وخيرَ الهدي هديُّ محمدٍ ﷺ، وشرُّ الأمور محدثاتها، وكلُّ محدثة بدعة، وكلُّ بدعة ضلالة، وكلُّ ضلالة في النار.

أما بعد.. فالأئمة الأربعة هم أئمة الفقهاء الأعلام، وهم أصحاب المذاهب الفقهية الأربعة التي شرقت وغربت، واشتهرت بين الناس في الماضي والحاضر، وإنما بلغ هؤلاء الأئمة ما بلغوا من منزلة ومكانة بما بذلوه من جهود عظيمة في

خدمة الشريعة الغراء والفقهاء الإسلامي، وبما خلفوه هم وأمثالهم من تراث فقهي ضخم، سيظل مفخرة كبرى للإسلام والمسلمين، وإن حياتهم العلمية وحياتهم الخاصة قد امتلأت بميراث ضخم من التراث والمواقف والقصص التي تعبر عن حياتهم بشتى جوانبها: علمية وفقهية ودينية واجتماعية، وتكشف عن مذهب كل منهم، ولما كانت هذه الجوانب من الأهمية شأن لتبصير الأمة بجوانب خفية من حياة هؤلاء الأئمة فقد آليت على نفسي أن أقوم بجمع عدد من المواقف والقصص والصور من حياة الأئمة في كتاب يرضي شغاف العقول ممن يتطلعون إلى معرفة الكثير من هذه النواحي والتي لا يُعرف عنها إلا القليل.

وقد جمعت في كثير من صفحات الكتاب نوال وأفعال صدرت عن الأئمة صارت بمثابة حِكْم وأمثال تناقلتها الأجيال، ولكي تتم الفائدة من الكتاب فقد أثبت بعض الزيادات التي وردت في بعض الروايات المتشابهة، وقد ابتعدت في جمعي لمادة هذا الكتاب عن كل ما فيه مغالاة مما يرفع القدر أو يحط به مما ورد في كتب الطبقات والتراجم، ففي بعض الأحيان تصل المغالاة إلى درجة الافتراء والكذب، فنجد أن الأحناف مثلاً بلغ بهم التمجيد في شخص أبي حنيفة إلى أن يقولوا: أن النبي ﷺ قد قال: «إن في أمتي رجلاً يقال له أبو حنيفة هو سراج الأمة»، وقد ذكر الإمام النووي أن هذا الحديث موضوع، وقد وصل القدر في بعض الأئمة إلى درجة إلصاق تهمة الزندقة بنظرائهم للتقويض من حق الآخرين، ولحرصني الشديد على أن تتم الفائدة من هذا العمل فقد جاء في هيئة صور من حياة الأئمة الأربعة.

وقبل أن أترككم مع مادة هذا العمل أسألكم صالح الدعاء لي بغيره وأن الذنوب وأن يتقبل الله تعالى هذا العمل وأن يجعله في ميزان حسناتي يوم العرض عليه . . . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الفقير إلى عفوره

رجب محمود إبراهيم بخيت